الفصل الثاني

الأسس التاريخية للتربية

الفصل الثاني

الأسس التاريخية للتربية

إن دراسة تاريخ التربية يُعد مهماً للتربية المعاصرة، لأنها تظهر حركة المجتمع وتفاعلاته وتأثيره على التربية، ورغم بساطة التربية ؛ لكن كان لها دور أساسي ، حيث كان المنزل في ذلك الحين هو الجهاز الوحيد للتربية من النواحي الجسمية والعقلية والخلقية وظل الأمر على هذا الحال حتى فاتحة العصور القديمة، فالأسرة الرومانية في أقدم العصور كانت وحدها تشرف على تنشئة أطفالها وتربيهم من مختلف النواحي وفق ما تشاء لها نظمها الخاصة بدون تدخل من جانب أية سلطة من سلطات المجتمع العام، وبذلك كانت التربية من العوامل التي يساعدها المنزل ويكمل نقصها حتى كانت تربية الأطفال أشبه بتربية غير مقصودة، وبعد ظهور الكتابة ودون بفضلها ما إهتدى إليه الإنسان من الحقائق أصبحت تربية الجيل اللاحق تتوقف على احاطته بمّا كشفه السلف في ميادين العلوم والفنون والمعارف، فإنضمت وظيفة جديدة الى وظائف المنزل ؛ وهي وظيفة التعليم وكان يقوم بها الآباء والأقرباء والعشيرة حيال صغارهم، ولما أشرقت نور الإسلام على العالم أحدث تغيراً في جميع نواحي الحياة، ومن أهمها النواحي التربوية، فقد عنى بها عناية بالغة، فحث المسلمين على التعليم حتى يتمكنوا من الإطلاع على مصادر المعرفة والثقافة في سبيل تحسين حياتهم، ورفع مستواهم، ومن خلال ماتقدم نثبت أن وجود البعد التاريخي، او الأصول التاريخية يساعد العملية التربوية على مايأتي:

1- ماورثته الأمة من الماضي وما أعدته للحاضر وكيف تخطط للمستقبل الزاهر.

2- مواجهة المشكلات التربوية في ضوء معالجة المشكلات القديمة المماثلة.

3- دراسة المفاهيم التربوية لا ينحصر وبما دون المؤرخون، لأن التربية بدأت مع بدأ حياة الإنسان، كما ذكرنا سابقاً، وهنا سنقوم بعرض مبسط حول تطور مفهوم التربية عبر العصور.

- **التربية البدائية**

إمتازت التربية في المجتمعات البدائية ببساطتها وخلوها من التعقيد، إذ كانت تتم بصورة عفوية تتمثل في تقليد الصغار للعادات السائدة في مجتمعهم، والتدريب بصورة تدريجية على الأعمال والنشاطات التي يقوم بها الكبار كالصيد، والحياكة، وصناعة الأدوات، ورعي الماشية، والزراعة، والتدرب على الأعمال المنزلية، وكان إهتمام الإنسان البدائي منصباً على الأشياء المباشرة الضرورية لبقائه، كالمأكل، والملبس، والمأوى، وحماية نفسه من العوامل الجوية وتجنب الأذى وكان يقوم بهذا النوع من التربية الأبوان أو العائلة ككل وفي بعض المجتمعات البدائية كان يقوم بهذا الدور القبيلة.

سمات التربية البدائية:

1. كانت متدرجة ومرحلية وذلك بأن يتدرب الطفل في سن معينة على شيء معين يزداد في الأهمية والعمومية بإزدياد عمر الطفل حتى بلوغه مرحلة الشيخوخة.
2. كانت العملية التربوية تتميز بالتوزيع، أي إنّ المجتمع البدائي ككل يقوم بعملية نظراً لعدم وجود مؤسسات تربوية كالمدرسة؛ فكان يتولى تلك العملية الأبوان أو الأسرة أو رئيس القبيلة.
3. لقد كانت بسيطة في محتوياتها وكان التعلم يكون بصورة غير مقصودة، فقد كان الأطفال يتعلمون ما تعلم أهلوهم أو أفراد القبيلة بالتلقين والمشاهدة.
4. إنها تمثل يقظة العقل البشري وإحساسه بضرورة نقل الخبرة من جيل إلى جيل آخر، وهي من أولى الأشياء التي وسعت الفرق بين المجتمع والحيوان.

أهداف التربية البدائية:

تمثلت أهداف التربية البدائية في تحقيق التماسك بين أفراد القبيلة، ومحاولة إكتساب التوافق والتكيف مع البيئة الإجتماعية والطبيعية والروحية عن طريق سلوكيات كبار السن، والتدريب على طقوس القبيلة التي البدائي من الأرواح الخيرة وتبعد عن الشريرة.

1. **أهداف روحية:** تتمثل في إقامة الطقوس الدينية لإعتقاد البدائي أن خلف كل قوة مادية روح.
2. **أهداف تقليدية:** يقلد فيها الطفل سلوكيات الكبار، ويتبع عادات وتقاليد القبيلة كما تعلمها؛ فلا يظهر التعليم سر التقليد.
3. **أهداف بسيطة:** تتمثل في إشباع ضروريات الحياة الأولية من ماكل وملبس ومشرب ومأوى.

- **حضارة وادي الرافدين**

إن حضارة وادي الرافدين تمتد جذورها في المعرفة والتعليم الى فجر التاريخ وقد سبقت غيرها من الحضارات كالحضارة اليونانية والرومانية بعشرات القرون، إذ أن التدوين لأول مرة في تاريخ البشرية في منتصف الألف الرابع ق.م.

وغدت حضارة العراق القديم منذ السومريين والأكديين ومن تلاهم تنمو وتتطور بإنتظام حتى شعت بذورها ونفوذها في القرون التالية إلى خارج الرقعة الجغرافية التي وجدت فيها فشملت الجهات المحيطة بها، ووضعت حضارة وادي الرافدين: أسس علم الفلك، وعلم التنجيم، وقياس الزوايا،

وإختراع العربات، وإختراع الكتابة المسمارية، كما ظهرت مؤسسات تسعى إلى نسخ الكتابات وتعمل على تعليم الناشئة وكانت مزدهرة في طول البلاد وعرضها في ذلك الوقت.

وردت لفظة المدرسية في اللغة السومرية بصفة (أي–دوبا) أي بيت الألواح، وكانت الملوك يتفاخرون بما كانوا يتعلمونه من القراءة والكتابة، وكان هدف المدرسة السومرية الإقتصار على تعلم اللغة السومرية ثم تدريب موظفين شؤون الإقتصاد والإدارة ليعملوا في دواوين الدولة وفي المعابد أيضاً، وتخرج من تلك المدارس العلماء والباحثون والمختصون في مختلف فروع المعرفة، كما عرفت علوم الجغرافية والرياضيات والحيوان واللاهوت واللغة والكتابات الأدبية، وكانت رواتب المعلمين تدفع من أجور الطلاب؛ لذا كان التعليم مقتصراً على أبناء الأغنياء وعدد قليل من الفقراء، لأن الأجور كانت باهضة الثمن.

أما عن نصيب المرأة في التعليم فلقد كان لها حصة وافرة في ذلك؛ فالمرأة المتعلمة كان لها شأن في المجتمع وأعماله.

نظام التعليم والمناهج الدراسية في وادي الرافدين:

كان التعليم منصباً على استعمال المعلم للعصا للمحافظة على النظام، ومع ذلك كان المعلمون يشجعون طلابهم على الإجتهاد عن طريق المديح والثناء، وكان الدوام المدرسي طويلاً يبدأ من الشروق وحتى الغروب، وكانت هناك عطلة مدرسية في وقت من أوقات المدرسة، أما سن الدراسة، فقد كان طويل؛ فالطالب يدرس منذ صباه إلى أن يصبح شاباً، وكانت هناك امتحانات فيها نجاح ورسوب وإعادة للراسبين.

وقد إشتهرت كل مدينة عراقية بمنهج معين، فقد اشتهرت (أور) بتدريس الطب وعلم الفلك والتنجيم والأدب والفن، وإشتهرت (الوركاء) بالطب والعقاقير والأدب، و[illegible]، وتبين الوثائق السومرية أن المنهج الدراسي كان يشمل نوعين من الدراسات هما: (الدراسات العلمية، والدراسات الأدبية) مثل الجغرافية والرياضيات والتعويذات الدينية والأمثال والمصطلحات التقنية التي تخص مختلفة المهن والحرف والخرائط.

كانت المكتبات منتشرة في كل المدن الأقليمية تقريباً، وكانت بجانب مكتبة توجد مدرسة للنسخ ملحقة بها، أما أكبر مجموعة من الألواح فكانت تتمثل في المكتبة الخاصة بالملك (آشور بنيبال) في نينوى قد عثر عليها وكان فيها (2500) لوحة سليمة أو محطمة، إذ جمع الملك في هذه المكتبة العديد من المصادر الثقافة والتاريخية، لاسيما في بلاد سومر وأكد.

- **حضارة الصين القديمة:**

إعتقد الصينيون أن الحقيقة هي ماإتفق عليها العقلاء وكبار السن في الماضي، حيث كان محور التربية يدور حول الأفكار والعادات القديمة، وغرس التقاليد الموروثة دون تغيير أو تبديل وترتبط التربية الصينية بالديانة الكنفوشيوسية التي أوجدها العالم كونفوشيوس، وخلف بعد وفاته خمس كتب، وتعرف في الصين بالجنحات الخمسة أو كتب القانون في مجملها: علم الإخلاق، علم ما وراء الطبيعة، [illegible]، وآراء كونفوشيوس في الشرف والنبل (26)، إستطاع نشر أفكاره وتعاليمه بنجاح بين الصينيين وحددت تعاليمه (العلاقات الخمس) و (الفضائل الخمس) والعلاقات السياسية،والإجتماعية،والإخلاقية في المجتمع الصيني، والتي ينبغي أن يتعلمها الأطفال كمبادئ للسلوك المرغوب به، وهي:

1. علاقة الحاكم بالمحكوم.
2. علاقة الأب بإبنه.
3. علاقة الزوج بزوجته.
4. علاقة الأخ باخيه.
5. علاقة الصديق بصديقه.

أما الفضائل الخمس هي (الإحسان، العدالة، النظام، الحزم، والإخلاص) مع إعتبار الأسرة هي أساس التنظيم الإجتماعي؛ فإن خطيئة الآباء قد يُعاقب عليها الأبناء، وبذلك تمكنت الأسرة من السيطرة على المجتمع.

جوانبها التربوية:

الحضارة الصينية حضارة عريقة وقديمة يتميز جانبها التربوي بما يأتي:

1. الخضوع للعادات والتقاليد خضوعاً تاماً.
2. طرق التدريس كانت تُعنى بتمرين الذاكرة.
3. لم يكن للبنت نصيب بالتعليم.
4. التعليم فيها أهلي،لقاء أجر ويعتمد التلقين الآلي والقوة أساساً للإنضباط.
5. تربية محافظة على العادات والتقاليد القديمة دون المساس بها أو محاولة تغييرها.

نظامها الإمتحاني:

كانت الإمتحانات المعيار الأساسي لإنتخاب موظفي الدولة والتي تجري تحت إشراف الدولة التي تعهد إدارتها إلى نخبة من كبار العلماء تعقد في مراكز المقاطعة أو في العاصمة، وكانت هناك قوانين صارمة يخضعون إليها،وهي على ثلاث درجات:

1. **إمتحانات الدرجة الأولى:** تجري مرة كل ثلاث سنوات في عاصمة المقاطعة ويطلب من الطالب كتابة ثلاث مقالات في موضوعات مختارة من كتابات كونفوشيوس وتعقد في حجرات منفصلة، ويمكث الطالب فيها ما بين (18–24) ساعة،ونسبة النجاح فيها ضيئلة لا تتجاوز 4%، وتتكرر لأربع أو خمس مرات حتى تسنح الفرصة بإنتقاء العدد المطلوب ويحق لمن ينجح أن يتقدم لأداء أمتحانات الدرجة الثانية.
2. **إمتحانات الدرجة الثانية:** تجري مرة كل ثلاث سنوات في عاصمة المديرية،ومدة الإمتحان ثلاثة أيام وتشتمل على الموضوعات النظمية والنثرية،ونسبة النجاح فيها لا تتجاوز 1% وتتكرر ثلاث أو أربع مرات للحصول على العدد المطلوب ويحق لمن ينجح أن يتقدم لأداء إمتحانات الدرجة الثانية.
3. **إمتحانات الدرجة الثالثة:** تجري في العاصمة بكين في أغرب قاعة إمتحان مركزي تتكون من عشرة الاف غرفة تخصص لكل طالب غرفة،وتدوم لمدة ثلاثة عشرة يوماً،وتشمل موضوعات في الأدب والإخلاق والفلسفة وكتابات كونفوشيوس،ونسبة النجاح فيها أكبر من الإمتحانات السابقة ومن ينجح فيها يكون تلميذاً ضابطاً في الجيش.

أهدافها التربوية

1– تدريب الشباب على التقيد بالعادات الكلاسيكية.

2– تدريب الأفراد على التقليد [illegible] لكبار السن.

وتميز النظام التربوي في الصين القديمة،بكون التعليم فيها لم يكن حكومي بل كان أهلي لقاء أجر يؤخذ من أولياء أمور الطلبة، لذلك لم يدخل المدارس إلاّ أبناء القادرين، أما أبناء الفقراء كان نصيبهم الجهل، وكان التلميذ يتم تعليمه الإبتدائية من سن (3–5) سنوات، ثم ينتقل إلى التعليم الثانوي والعالي بعد ذلك،ممّا أسهم نظام التربية في الصين القديمة على استقرار المجتمع وبقاء الإمبراطورية، والإحتفاظ بالتقاليد الموروثة، مع إخضاع الفرد للتقاليد والقيم والفضائل الأساسية في المجتمع التي كانت سائدة آنذاك، كما عودهم على الصبر وإتقان المواد الدراسية والقدرة على التركيز والإنتباه لدى الفرد.